

التأويل في مختلف المذاهب والآراء

القرآن إلا آياتٍ تعدّ علّهم إياه جبريل [235]. أي أنّّه (صلى الله عليه وآله) لم يكن يفسّر إلاّ القلائل من الآيات، تلك القلائل أيضاً كان بوحى وتوقيف، ولم يكن عن فهمه. وروي عن إبراهيم قال: «كان أصحابنا يتّقون التفسير ويهابونه». * * * قال ابن كثير: «فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف، محمولة على تحرّجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم فيه، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغةً وشرعاً فلا حرج عليه. ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير، ولا منافاة؛ لأنّهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عمّا جهلوه، وهذا هو الواجب على كلّ واحد، فإنّّه كما يجب السكوت عمّا لا علم له به، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه ممّا يعلمه؛ لقوله تعالى: (لَتُبَدِّلْ نِزْلَهُ لِرِجَالٍ مِنَ الْأَقْلَامِ يَكُونُونَ لَكَ بِحُجَّتٍ أُولَئِكَ لَمَّا خَسِرُوا وَلَئِنَّكَ أَنتَ الْغَافِلُ) [236]». وبعين ذلك ذكر ابن تيمية في مقدمته [237]. وقال ابن جرير الطبري: «إنّ معنى «إحجام» من أحجم عن القيل في تأويل القرآن وتفسيره من علماء السلف، إنّما كان إحجامه عنه حذراً أن لا يبلغ أداء ما كلّف من إصابة صواب القول فيه، لا على أنّ تأويل ذلك محجوب عن علماء الأئمة غير موجود بين أظهرهم». [238] قلت: والدليل على صحّة ذلك أنّ من تحرّج من القول في معاني القرآن من السلف كانوا هم القلائد القليلة من الأصحاب والتابعين، أمّا الأكثرية الساحقة من علماء الأئمة ونبهاء الصحابة فقد عنوا بتفسير القرآن وتأويله عنايةً بالغةً، كانت الوفرة الوفيرة من رصيدنا اليوم في التفسير.